آخـر بـــاب
مـــن
الحياة الطيبة

إلى الرفيق الأعلى

طلائع التوديع:

ولما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام على الموقف، أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره ﷺ، وتتضح بعباراته وأفعاله.

إنه اعتكف فى رمضان من السنة العاشرة عشرين يومًا، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب، وتدارسه جبريل القرآن مرتين، وقال فى حجة الوداع: «**إنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا**»، وقال وهو عند جمرة العقبة: «**خذوا عنى مناسككم، فلعلى لا أحج بعد عامى هذا**»، وأنزلت عليه سورة النصر فى أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع وأنه نعيت إليه نفسه.

وفى أوائل صفر سنة ١١ هـ خرج النبى ﷺ إلى أحد، فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إنى فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن، وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى، ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**»[(١)].

وخرج ليلة - فى منتصفها - إلى البَقِيع، فاستغفر لهم، وقال: «**السلام عليكم يا أهل المقابر، لِيَهْنَ لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، والآخرة شر من الأولى**»، وبشرهم قائلًا: «**إنا بكم للاحقون**».

بداية المرض:

وفى اليوم الثامن أو التاسع والعشرين من شهر صفر سنة١١هـ - وكان يوم الاثنين - شهد رسول الله ﷺ جنازة فى البقيع، فلما رجع، وهو فى الطريق أخذه صداع فى رأسه، واتقدت الحرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سَوْرَتَها فوق العِصَابة التى تعصب بها رأسه.

وقد صلى النبى ﷺ بالناس وهو مريض ١١ يومًا، وجميع أيام المرض كانت ١٣، أو ١٤ يومًا.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخارى ٢/ ٥٨٥، وفتح البارى ٣/ ٢٤٨، ح (١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم: الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته ٤/ ١٧٩٥، ح (٢٢٩٦).

الأسبوع الأخير:

وثقل برسول الله ﷺ المرض، فجعل يسأل أزواجه: «أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟» ففهمن مراده، فأذن له يكون حيث شاء، فانتقل إلى بيت عائشة يمشى بين الفضل بن عباس وعلى بن أبي طالب، عاصبًا رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيتها، فقضى عندها آخر أسبوع من حياته.

وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات والأدعية التى حفظتها من رسول الله ﷺ، فكانت تنفث على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة.

قبل الوفاة بخمسة أيام:

ويوم الأربعاء قبل خمسة أيام من الوفاة، اتقدت حرارة العلة فى بدنه، فاشتد به الوجع وغمى، فقال: «**هريقوا على سبع قِرَب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم**»، فأقعدوه فى مِخْضَبٍ[(١)]، وصبوا عليه الماء حتى طفق يقول: «**حسبكم، حسبكم**».

وعند ذلك أحس بخفة، فدخل المسجد متعطفًا ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة حتى جلس على المنبر، وكان آخر مجلس جلسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس، إلى**»، فثابوا إليه، فقال - فيما قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» - وفى رواية: «**قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٢)] - وقال: «**لا تتخذوا قبرى وثنًا يعبد**»[(٣)].

وعرض نفسه للقصاص قائلًا: «**من كنت جلدت له ظَهْرًا فهذا ظهرى فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عِرْضًا فهذا عرضى فليستقد منه**».

ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، وعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها. فقال رجل: إن لى عندك ثلاثة دراهم، فقال: «**أعطه يا فضل**»، ثم أوصى بالأنصار قائلًا:

«**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كِرْشِى وعَيْبَتِى، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم، فاقبلوا من مُحْسِنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»، وفى رواية أنه قال: «**إن الناس يكثرون، وتَقِلُّ**

(١) أى: آنية.

(٢) صحيح البخارى ١/ ٦٢، وموطأ الإمام مالك، ص ٣٦٠.

(٣) موطأ الإمام مالك، ص ٦٥.

الأنصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام، فمن ولى منكم أمرًا يضر فيه أحدًا أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم»[(١)].

ثم قال: «**إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**». قال أبو سعيد الخدرى: فبكى أبو بكر. قال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا[(٢)].

ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربى لا تخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين فى المسجد باب إلا سد، إلا باب أبى بكر**»[(٣)].

قبل أربعة أيام:

ويوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام قال - وقد اشتد به الوجع: «**هلموا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده**» - وفى البيت رجال فيهم عمر - فقال عمر: قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «**قوموا عنى**»[(٤)].

وأوصى ذلك اليوم بثلاث: أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، أما الثالث فنسيه الراوى. ولعله الوصية بالاعتصام بالكتاب والسنة، أو تنفيذ جيش أسامة، أو هى: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**».

والنبى ﷺ مع ما كان به من شدة المرض كان يصلى بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات عرفًا[(٥)].

---

(١) صحيح البخارى ١/ ٥٣٦.
(٢) متفق عليه، مشكاة المصابيح ٢/ ٥٤٦.
(٣) صحيح البخارى ١/ ٥١٦.
(٤) صحيح البخارى ١/ ٢٢، ٤٢٩، ٤٤٩، ٢/ ٦٣٨.
(٥) رواه البخارى عن أم الفضل: باب مرض النبى ﷺ ٢/ ٦٣٧.

وعند العشاء زاد ثقل المرض، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد. قالت عائشة: فقال النبي ﷺ: «**أصَلَّى الناس؟**» قلنا: لا يا رسول الله، وهم ينتظرونك. قال: «**ضعوا لى ماء فى المِخْضَب**»، ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء فأغمى عليه. ثم أفاق، فقال: «**أصلى الناس؟**» - ووقع ثانيًا وثالثًا ما وقع فى المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء - فأرسل إلى أبى بكر أن يصلى بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام[١] ١٧ صلاة فى حياته ﷺ، وهى صلاة العشاء من يوم الخميس، وصلاة الفجر من يوم الإثنين، وخمس عشرة صلاة فيما بينها[٢].

وراجعت عائشة النبى ﷺ ثلاث أو أربع مرات ؛ ليصرف الإمامة عن أبى بكر حتى لا يتشاءم به الناس[٣]، فأبى وقال: «**إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[٤].

قبل ثلاثة أيام:

قال جابر: سمعت النبى ﷺ قبل موته بثلاث وهو يقول: «**ألا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»[٥].

قبل يوم أو يومين:

ويوم السبت أو الأحد وجد النبى ﷺ فى نفسه خفة، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه بألا يتأخر، قال: «**أجلسانى إلى جنبه**»، فأجلساه إلى يسار أبى بكر، فكان أبو بكر يقتدى بصلاة رسول الله ﷺ ويسمع الناس التكبير[٦].

قبل يوم:

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبى ﷺ غلمانه، وتصدق بستة أو سبعة

---

(١) متفق عليه، مشكاة المصابيح ١/ ١٠٢.

(٢) البخارى مع الفتح ٢/ ١٩٣، ح (٦٨١)، ومسلم: كتاب الصلاة ١/ ٣١٥، ح (١٠٠)، ومسند أحمد ٦/ ٢٢٩.

(٣) ينظر له: البخارى مع الفتح ٧/ ٧٤٧، ح (٤٤٤٥)، ومسلم: كتاب الصلاة ١/ ٣١٣، ح (٩٣، ٩٤).

(٤) صحيح البخارى ١/ ٩٩.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٥٥، ومسند أبى داود الطيالسى، ص ٢٤٦، ح (١٧٧٩)، ومسند أبى يعلى ٤/ ١٩٣، ح (٢٢٩٠).

(٦) صحيح البخارى مع فتح البارى ٢/ ١٩٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ح (٦٨٣، ٧١٢، ٧١٣).

دنانير كانت عنده[١]، ووهب للمسلمين أسلحته، وفى الليل أرسلت عائشة بمصباحها امرأة من النساء وقالت: أقطرى لنا فى مصباحنا من عُكَّتِك السمن[٢]، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعًا من الشعير[٣].

آخر يوم من الحياة:

روى أنس بن مالك: أن المسلمين بينا هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين - وأبو بكر يصلى بهم - لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم فى صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ؛ ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فقال أنس: وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم، فَرَحًا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[٤].

ثم لم يأت على رسول الله ﷺ وقت صلاة أخرى.

ولما ارتفع الضحى، دعا النبى ﷺ فاطمة فسَارَّها بشىء فبكت، ثم دعاها، فسارها بشىء فضحكت، قالت عائشة: فسألنا عن ذلك - أى فيما بعد - فقالت: سارنى النبى ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه، فبكيت، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهله يتبعه فضحكت[٥].

وبشر النبى ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين[٦].

ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذى يتغشاه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٣٧، تفيد بعض الروايات أنه تصدق بها ليلة الاثنين أو يوم الاثنين، أى فى آخر يوم من حياته.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٣٩.

(٣) انظر: صحيح البخارى، ح (٢٠٦٨، ٢٠٩٦، ٢٢٠٠، ٢٢٥١، ٢٢٥٢، ٢٣٨٦، ٢٥٠٩، ٢٥١٣، ٢٩١٦، ٤١٦٧)، وفى أواخر المغازى: توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة، وعند أحمد: فما وجد ما يفتكها به (فتح البارى ٥/ ١٦٩).

(٤) انظر: صحيح البخارى مع فتح البارى ٢/ ١٩٣، ح (٦٨٠، ٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨).

(٥) صحيح البخارى ٢/ ٦٣٨.

(٦) ويدل بعض الروايات على أن هذا الحوار والبشارة لم يكن فى آخر يوم من حياته، بل فى آخر أسبوع (رحمة للعالمين ١/ ٢٨٢).

فقالت: وا كرب أباه. فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»[١].

ودعا الحسن والحسين فقبلهما، وأوصى بهما خيرًا، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

وطفق الوجع يشتد ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذى أكله بخيبر حتى كان يقول: «**يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَرِى من ذلك السم**»[٢].

وقد طرح خَمِيصَة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك - وكان هذا آخر ما تكلم وأوصى به الناس: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر ما صنعوا - لا يبقين دينان بأرض العرب**»[٣].

وأوصى الناس فقال: «**الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»، كرر ذلك مرارًا[٤].

الاحتضار:

وبدأ الاختصار، فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول: إن من نعم الله علىّ أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى وفى يومى وبين سَحْرِى ونَحْرِى، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته. دخل عبد الرحمن - ابن أبى بكر - وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فتناولته فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فلينته، فأمره - وفى رواية أنه استن به كأحسن ما كان مستنا - وبين يديه رَكْوَة فيها ماء، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح به وجهه، يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات...**» الحديث[٥].

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: «**مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لى وارحمنى، وألحقنى بالرفيق الأعلى. اللهم، الرفيق الأعلى**»[٦].

---

(١) صحيح البخارى ٢/ ٦٤١.
(٢) المصدر السابق نفسه ٢/ ٦٣٧.
(٣) صحيح البخارى مع فتح البارى ١/ ٦٣٤، ح (٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٣٤٥٤، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٤٤٤٤، ٥٨١٥، ٥٨١٦)، وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٥٤.
(٤) صحيح البخارى ٢/ ٦٣٧.
(٥) صحيح البخارى: باب مرض النبى ﷺ ٢/ ٦٤٠. والسَّحْر: الرئة.
(٦) صحيح البخارى: باب مرض النبى ﷺ، وباب آخر ما تكلم النبى ﷺ ٢/ ٦٣٨- ٦٤١.

كرر الكلمة الأخيرة ثلاثًا، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

تفاقم الأحزان على الصحابة:

وتسرب النبأ الفادح، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها. قال أنس: ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ[(١)].

ولما مات قالت فاطمة: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه. يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه. يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه[(٢)].

موقف عمر:

ووقف عمر بن الخطاب يقول: إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفى، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات.

ووالله، ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات[(٣)].

موقف أبى بكر:

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ، وهو مغشى بثوب حِبَرَة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه، فقبله وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقد مِتَّهَا.

ثم خرج أبو بكر، وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر:

---

(١) رواه الدارمى، مشكاة المصابيح ٢/ ٥٤٧، وعن أنس قال: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء، ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدى، وإنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا (جامع الترمذى ٥/ ٥٨٨، ٥٨٩).

(٢) صحيح البخارى: باب مرض النبى ﷺ ٢/ ٦٤١.

(٣) ابن هشام ٢/ ٦٥٥.

أما بعد، من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حى لا يموت، قال الله:]P ONMK J I HGF EDC[Z a ` _ ^] [ZYX WV UT SR Q [آل عمران].

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر: والله، ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعرفت أنه الحق، فعقرت حتى ما تُقِلُّنى رجلاى، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبى ﷺ قد مات[(١)].

التجهيز وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض:

ووقع الخلاف فى أمر الخلافة قبل أن يقوموا بتجهيزه ﷺ، فجرت مناقشات ومجادلات وحوار وردود بين المهاجرين والأنصار فى سَقِيفة بنى ساعدة، وأخيرًا اتفقوا على خلافة أبى بكر رضي الله عنه، ومضى فى ذلك بقية يوم الاثنين حتى دخل الليل، وشغل الناس عن جهاز رسول الله ﷺ حتى كان آخر الليل - ليلة الثلاثاء - مع الصبح، وبقى جسده المبارك على فراشه مغشى بثوب حِبَرَة، قد أغلق دونه الباب أهله.

ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، وكان القائمون بالغسل: العباس وعليًا، والفضل وقُثَم ابنى العباس، وشُقْرَان مولى رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأوس ابن خَوْلى، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلى يغسله، وأوس أسنده إلى صدره[(٢)].

وقد غسل ثلاث غسلات بماء وسِدْر، وغسل من بئر يقال لها: الغَرْس لسعد بن خَيْثَمَة بقُبَاء وكان يشرب منها[(٣)].

ثم كفنوه فى ثلاثة أثواب يمانية بيض سَحُولِيَّة من كُرْسُف، ليس فيها قميص ولا عمامة[(٤)]. أدرجوه فيها إدراجًا.

---

(١) صحيح البخارى ٢/ ٦٤٠، ٦٤١.

(٢) لينظر: ابن ماجه ١/ ٥٢١. (٣) لينظر التفصيل فى: طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٧- ٢٨١.

(٤) صحيح البخارى: جنائز، باب الثياب البيض للكفن، وفتح البارى ٣/ ١٦٢، ١٦٧، ١٦٨، ح (١٢٦٤، ١٢٧١، ١٢٧٣، ١٣٨٧)، وصحيح مسلم: جنائز ٤٦٣، باب كفن الميت، ح (٤٥).

واختلفوا فى موضع دفنه، فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض**»، فرفع أبو طلحة فراشه الذى توفى عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحدًا.

ودخل الناس الحجرة أرسالًا، عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ أفذاذًا، لا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولًا أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الصبيان، ثم النساء، أو النساء ثم الصبيان[(١)].

ومضى فى ذلك يوم الثلاثاء كاملًا، ومعظم ليلة الأربعاء، قالت عائشة: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المَسَاحِى[(٢)] من جوف الليل - وفى رواية: من آخر الليل - ليلة الأربعاء[(٣)].

(١) لينظر: موطأ الإمام مالك: كتاب الجنائز، باب ما جاء فى دفن الميت ١/ ٢٣١، وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٨٨- ٢٩٢.

(٢) جمع مسحاة: ما يجرف به الطين.

(٣) مسند أحمد ٦/ ٦٢، ٢٧٤، وانظر لتفصيل لحوقه بالرفيق الأعلى: صحيح البخارى: باب مرض النبى ﷺ وعدة أبواب بعده مع فتح البارى، وصحيح مسلم، ومشكاة المصابيح: باب وفاة النبى ﷺ، وابن هشام ٢/ ٦٤٩- ٦٦٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر، ص ٣٨، ٣٩، ورحمة للعالمين ١/ ٢٧٧- ٢٨٦ وتعيين عامة الأوقات من المرجع الأخير.

البيت النبوي

١- كان البيت النبوى فى مكة قبل الهجرة يتألف منه عليه الصلاة والسلام، ومن زوجته خديجة بنت خويلد، تزوجها وهو فى خمس وعشرين من سنه، وهى فى الأربعين، وهى أول من تزوجه من النساء، ولم يتزوج عليها غيرها، وكان له منها أبناء وبنات، أما الأبناء، فلم يعش منهم أحد، وأما البنات فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، فأما زينب فتزوجها قبل الهجرة ابن خالتها أبوالعاص بن الربيع، وأما رقية وأم كلثوم فقد تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه الواحدة بعد الأخرى، وأما فاطمة فتزوجها على بن أبى طالب بين بدر وأحد، ومنها كان الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم.

ومعلوم أن النبى ﷺ كان يمتاز عن أمته بحل التزوج بأكثر من أربع زوجات لأغراض كثيرة، فكان عدد من عقد عليهن ثلاثة عشرة امرأة، منهن تسع مات عنهن، واثنتان توفيتا فى حياته، إحداهما خديجة، والأخرى أم المساكين زينب بنت خُزَيْمَة، واثنتان لم يدخل بهما، وها هى أسماؤهن وشىء عنهن:

٢- **سودة بنت زمعة:** تزوجها رسول الله ﷺ فى شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بنحو شهر، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، فمات عنها. توفيت بالمدينة فى شوال سنة ٥٤هـ.

٣- **عائشة بنت أبى بكر الصديق:** تزوجها فى شوال سنة إحدى عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، تزوجها وهى بنت ست سنين، وبنى بها فى شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر فى المدينة، وهى بنت تسع سنين، وكانت بكرًا ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، وأفقه نساء الأمة، وأعلمهن على الإطلاق، فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. توفيت فى ١٧ رمضان سنة ٥٧هـ أو ٥٨ هـ ودفنت بالبقيع.

٤- **حفصة بنت عمر بن الخطاب:** تأيمت من زوجها خنيس بن خذافة السهمى بين بدر وأحد،فلما حلت تزوجها رسول الله ﷺ فى شعبان سنة ٣هـ. توفيت فى شعبان سنة ٤٥هـ بالمدينة،ولها ستون سنة،ودفنت بالبقيع.

٥- **زينب بنت خزيمة:** من بنى هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم، كانت تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد فى أحد،

فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ٤ هـ. ماتت بعد الزواج بنحو ثلاثة أشهر فى ربيع الآخر سنة ٤هـ، فصلى عليها النبى ﷺ، ودفنت بالبقيع.

٦- **أم سلمة هند بنت أبى أمية**: كانت تحت أبى سلمة،وله منها أولاد، فمات عنها فى جمادى الآخر سنة ٤هـ، فتزوجها رسول الله ﷺ فى ليال بقين من شوال السنة نفسها، وكانت من أفقه النساء وأعقلهن. توفيت سنة ٥٩هـ، وقيل: ٦٢هـ ودفنت بالبقيع، ولها ٨٤ سنة.

٧- **زينب بنت جحش بن رباب**: من بنى أسد بن خزيمة، وهى بنت عمة رسول الله ﷺ، كانت تحت زيد بن حارثة - الذى كان يعتبر ابنا للنبى ﷺ - فطلقها زيد، فلما انقضت العدة أنزل الله تعالى يقول لرسوله ﷺ:]U VWX YZ [الأحزاب: ٣٧]، وفيها نزلت من سورة الأحزاب آيات فصلت قضية التبنى - وسنأتى على ذكرها - تزوجها رسول الله ﷺ فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة. وقيل: سنة ٤هـ، وكانت أعبد النساء وأعظمهن صدقة، توفيت سنة ٢٠هـ ولها ٥٣ سنة. وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد رسول الله ﷺ، صلى عليها عمر بن الخطاب، ودفنت بالبقيع.

٨- **جويرية بنت الحارث (سيد بنى المصطلق)**: من خزاعة، كانت فى سبى بنى المصطلق فى سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها، وتزوجها فى شعبان سنة ٦ هـ. وقيل: سنة ٥هـ، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بنى المصطلق، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فكانت أعظم النساء بركة على قومها. توفيت فى ربيع الأول سنة ٥٦هـ، وقيل: ٥٥ هـ. ولها ٦٥ سنة.

٩- **أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان**: كانت تحت عبيد الله بن جحش، فولدت له حبيبة فكنيت بها، وهاجرت معه إلى الحبشة، فارتد عبيد الله وتنصر، وتوفى هناك، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها، فلما بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى بكتابه إلى النجاشى فى المحرم سنة ٧ هـ، خطب عليه أم حبيبة فزوجها إياه وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وبعث بها مع شرحبيل ابن حسنة. فابتنى بها النبى ﷺ بعد رجوعه من خيبر. توفيت سنة ٤٢هـ، أو ٤٤هـ، أو ٥٠هـ.

١٠- **صفية بنت حيى بن أخطب (أسيد بن النضير)**: من بنى إسرائيل، كانت من سبى خيبر، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة ٧هـ، وابتنى بها بسد الصهباء على بعد ١٢ ميلا من خيبر فى طريقه إلى

المدينة. توفيت سنة ٥٠ هـ وقيل: ٥٢هـ، وقيل ٣٦ هـ، ودفنت بالبقيع.

١١- **ميمونة بنت الحارث**: أخت أم الفضل لبابة بنت الحارث، تزوجها فى ذى القعدة سنة ٧هـ، فى عمرة القضاء، بعد أن حل منها على الصحيح.

وابتنى بها بسرف على بعد ٩ أميال من مكة، وقد توفيت بسرف سنة ٦١هـ، وقيل: ٦٣هـ، وقيل: ٣٨ هـ ودفنت هناك، ولا يزال موضع قبرها معروفا.

فهؤلاء إحدى عشرة سيدة تزوج بهن الرسول ﷺ، وبنى بهن، وتوفيت منهن اثنتان - خديجة وزينب أم المساكين - فى حياته، وتوفى هو عن التسع البواقى.

وأما الاثنتان اللتان لم يبن بهما، فواحدة من بنى كلاب، وأخرى من كندة، وهى المعروفة بالجُونِيَّة، وهناك خلافات لاحاجة إلى بسطها.

وأما السرارى: فالمعروف أنه تسرى باثنتين إحداهما مارية القبطية، أهداها له المقوقس، فأولدها ابنه إبراهيم، الذى توفى صغيرا بالمدينة فى حياته ﷺ، فى ٢٨ / أو ٢٩ من شهر شوال سنة ١٠ هـ وفق ٢٧ يناير سنة ٦٣٢م.

والسرية الثانية هى ريحانة بنت زيد النضرية أو القرظية، كانت من سبايا قريظة، فاصطفاها لنفسه، وقيل: بل هى من أزواجه ﷺ، أعتقها فتزوجها. والقول الأول رجحه ابن القيم. وزاد أبو عبيدة اثنتين أخريين، جميلة أصابها فى بعض السبى، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

ومن نظر إلى حياة الرسول ﷺ عرف جيدًا أن زواجه بهذا العدد الكثير من النساء فى أواخر عمره بعد أن قضى ما يقارب ثلاثين عامًا من ريعان شبابه وأجود أيامه مقتصرا على زوجة واحدة شبه عجوز - خديجة ثم سودة - عرف أن هذا الزواج لم يكن لأجل أنه وجد بغتة فى نفسه قوة عارمة من الشبق، لا يصبر معها إلا بمثل هذا العدد الكثير من النساء؛ بل كانت هناك أغراض أخرى أجل وأعظم من الغرض الذى يحققه عامة الزواج.

فاتجاه الرسول ﷺ إلى مصاهرة أبى بكر وعمر بزواجه بعائشة وحفصة - وكذلك تزوجيه ابنته فاطمة بعلى بن أبى طالب، وتزويجه ابنتيه رقية ثم أم كلثوم بعثمان بن عفان - يشير إلى أنه يبغى من وراء ذلك توثيق الصلاة بالرجال الأربعة، الذى عرف بلاءهم وفداءهم للإسلام فى الأزمات التى مرت به، وشاء الله أن يجتازها بسلام.

وكان من تقاليد العرب الاحترام للمصاهرة، فقد كان الصهر عندهم بابا من أبواب التقرب بين البطون المختلفة، وكانوا يرون مناوأة ومحاربة الأصهار سبة وعارًا على أنفسهم،

فأراد رسول الله ﷺ بزواج عدة من أمهات المؤمنين أن يكسر سورة عداء القبائل للإسلام، ويطفئ حدة بغضائها، كانت أم سلمة من بنى مخزوم – حى أبى جهل وخالد ابن الوليد – فلما تزوجها رسول الله ﷺ لم يقف خالد من المسلمين موقفه الشديد بأحد، بل أسلم بعد مدة غير طويلة طائعا راغبًا، وكذلك أبو سفيان لم يواجه رسول الله ﷺ بأى محاربة بعد زواجه بابنته أم حبيبة، وكذلك لا نرى من قبيلتى بنى المصطلق وبنى النضير أى استفزاز وعداء بعد زواجه بجويرية وصفية؛ بل كانت جويرية أعظم النساء بركة على قومها، فقد أطلق الصحابة أسر مائة بيت من قومها حين تزوجها رسول الله ﷺ، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. ولا يخفى ما لهذا المن من الأثر البالغ فى النفوس.

وأكبر من كل ذلك وأعظم أن النبى ﷺ كان مأمورا بتزكية وتثقيف قوم لم يكونوا يعرفون شيئا من آداب الثقافة والحضارة والتقيد بلوازم المدينة، والمساهمة فى بناء المجتمع وتعزيزه.

والمبادئ التى كانت أسسا لبناء المجتمع الإسلامى، لم تكن تسمح للرجال أن يختلطوا بالنساء، فلم يكن يمكن تثقيفهن مباشرة مع المراعاة لهذه المبادئ، مع أن مسيس الحاجة إلى تثقيفهن مباشرة لم يكن أهون وأقل من الرجال، بل كان أشد وأقوى.

وإذن فلم يكن للنبى ﷺ سبيل إلا أن يختار من النساء المختلفة الأعمار والمواهب ما يكفى لهذا الغرض، فيزكيهن ويربيهن، ويعلمهن الشرائع والأحكام، ويثقفهن بثقافة الإسلام حتى يعدهن لتربية البدويات والحضريات، العجائز منهن والشابات، فيكفين مؤنة التبليغ فى النساء.

وقد كان لأمهات المؤمنين فضل كبير فى نقل أحواله ﷺ المنزلية للناس، خصوصًا من طالت حياتها منهن كعائشة، فإنها روت كثيرًا من أفعاله وأقواله.

وهناك نكاح واحد كان لنقض تقليد جاهلى متأصل، وهى قاعدة التبنى. وكان للمتبنى عند العرب فى الجاهلية جميع الحرمات والحقوق التى كانت للابن الحقيقى سواء بسواء. وكانت قد تأصلت تلك القاعدة فى القلوب، بحيث لم يكن محوها سهلًا، لكن كانت تلك القاعدة تعارض معارضة شديدة للأسس والمبادئ التى قررها الإسلام فى النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من المعاملات، وكانت تلك القاعدة تجلب كثيرا من المفاسد والفواحش التى جاء الإسلام ليمحوها عن المجتمع.

وقدر الله أن يكون هدم تلك القاعدة على يد رسول الله ﷺ وبذاته الشريفة،

وكانت ابنة عمته زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة الذى كان يدعى زيد بن محمد، ولم يكن بينهما توافق، حتى هم زيد بطلاقها، وفاتح بذلك رسول الله ﷺ، وقد عرف الرسول ﷺ - إما بإشارات الظروف، وإما بإخبار الله عز وجل إياه - أن زيدا إن طلقها فسيؤمر هو ﷺ أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها، وكان ذلك فى ظروف حرجة من تألب المشركين على رسول الله ﷺ والمسلمين، وكان يخاف - إذا وقع هذا الزواج - دعاية المنافقين والمشركين واليهود، وما يثيرونه من الوساوس والخرافات ضده، وما يكون له من الأثر السيئ فى نفوس ضعفاء المسلمين، فلما فاتح زيد رسول الله ﷺ بإرادته طلاق زينب أمره بأن يمسكها ولا يطلقها، وذلك لئلا تجيء له مرحلة هذا الزواج فى تلك الظروف الصعبة.

ولم يرض الله من رسوله ﷺ هذا التردد والخوف حتى عاتبه الله عليه بقوله: [; MLKJ IHGFE DCBA @?>=< ZS RQPON [الأحزاب: ٣٧].

وأخيرا طلقها زيد، وتزوجها رسول الله ﷺ فى أيام فرض الحصار على بنى قريظة بعد أن انقضت عدتها. وكان الله قد أوجب عليه هذا النكاح، ولم يترك له خيارا ولا مجالا، حتى تولى الله ذلك النكاح بنفسه، يقول: [^] \[Z YXWVU ZgfedcbaÞ _ [الأحزاب: ٣٧]، وذلك ليهدم قاعدة التبنى فعلًا كما هدمها قولا: [¹ ZIkjihg [الأحزاب: ٥]، [° ¾½¼» ¿ ÀÁÂÃÄ Z [الأحزاب: ٤٠].

وكم من التقاليد المتأصلة الجافة لا يمكن هدمها أو تعديلها لمجرد القول، بل لابد من مقارنة فعل صاحب الدعوة، ويتضح ذلك بما صدر من المسلمين فى عمرة الحديبية، كان هناك أولئك المسلمون الذين رآهم عروة بن مسعود الثقفى، لا يقع من النبى ﷺ نخامة إلا فى يد أحدهم، ورآهم يتبادرون إلى وضوئه حتى كادوا يقتتلون عليه، نعم كان أولئك الذين تسابقوا إلى البيعة على الموت أو على عدم الفرار تحت الشجرة، والذين كان فيهم مثل أبو بكر وعمر، لما أمر النبى ﷺ أولئك الصحابة المتفانين فى ذاته - بعد عقد الصلح - أن يقوموا فينحروا هديهم لم يقم لامتثال أمره أحد، حتى أخذه القلق والاضطراب، ولكن لما أشارت عليه أم سلمة أن يقوم إلى هديه فينحر، ولا يكلم أحدا ففعل، تبادر الصحابة إلى اتباعه فى فعله، فتسابقوا إلى نحر جزورهم. وبهذا الحادث يتضح جليا ما هو الفرق بين

أثرى القول والفعل لهدم قاعدة راسخة.

وقد أثار المنافقون وساوس كثيرة، وقاموا بدعايات كاذبة واسعة حول هذا النكاح، أثر بعضها فى ضعفاء المسلمين، لا سيما أن زينب كانت خامسة أزواجه ﷺ، ولم يكن يعرف المسلمون حل الزواج بأكثر من أربع نسوة وأن زيدا كان يعتبر ابنا للنبى ﷺ، والزواج بزوجة الابن كان من أغلظ الفواحش، وقد أنزل الله فى سورة الأحزاب حول الموضوعين ما شفى وكفى، وعلم الصحابة أن التبنى ليس له أثر عند الإسلام، وأن الله تعالى وسع لرسوله ﷺ فى الزواج مالم يوسع لغيره، لأغراضه النبيلة الممتازة.

هذا، وكانت عشرته ﷺ مع أمهات المؤمنين فى غاية الشرف والنبل والسمو والحسن، كما كن فى أعلى درجة من الشرف والقناعة والصبر والتواضع والخدمة والقيام بحقوق الزواج، مع أنه كان فى شظف من العيش لا يطيقه أحد. قال أنس: ما أعلم النبى ﷺ رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطا بعينه قط[1]. وقالت عائشة: إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين، وما أوقدت فى أبيات رسول الله ﷺ نار. فقال لها عروة: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان؛ التمر والماء[2]. والأخبار بهذا الصدد كثيرة.

ومع هذا الشظف والضيق لم يصدر منهن ما يوجب العتاب إلا مرة واحدة - حسب مقتضى البشرية، وليكون سببا لتشريع الأحكام - فأنزل الله آية التخيير:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ Z [الأحزاب] وكان من شرفهن ونبلهن أنهن آثرن الله ورسوله، ولم تمل واحدة منهن إلى اختيار الدنيا.

وكذلك لم يقع منهن ما يقع بين الضرائر - مع كثرتهن - إلا شىء يسير من بعضهن حسب اقتضاء البشرية، ثم عاتب الله عليه فلم يعدن له مرة أخرى، وهو الذى ذكره الله فى سورة التحريم بقوله:] ! " # $ % & ' ( ) Z إلى تمام الآية الخامسة.

وأخيرا: أرى أنه لا حاجة إلى البحث فى موضوع مبدأ تعدد الزوجات، فمن نظر فى حياة سكان أوروبا الذين يصدر منهم النكير الشديد على هذا المبدأ، ونظر إلى مايقاسون من الشقاوة والمرارة، وما يأتون من الفضائح والجرائم الشنيعة، وما يواجهون من البلايا

(١،٢) صحيح البخارى ٢/ ٩٥٦. والسميط: المشوية.

والقلاقل لانحرافهم عن هذا المبدأ - كفى له ذلك عن البحث والاستدلال، فحياتهم أصدق شاهد على عدالة هذا المبدأ، وإن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

الصفات والأخلاق

كان النبى ﷺ يمتاز من جمال خَلْقه وكمال خُلُقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا فى حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظُفْر، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال الذى يحبب عادة لم يرزق بمثلها بشر. وفيما يلى نورد ملخص الروايات فى بيان جماله وكماله مع اعتراف العجز عن الإحاطة.

جمال الخَلْق:

قالت أم مَعْبَدٍ الخزاعية عن رسول الله ﷺ - وهى تصفه لزوجها، حين مر بخيمتها مهاجرًا: ظاهر الوَضَاءة، أبْلَجُ الوجه، حسن الخُلُق، لم تعبه ثُجْلَة، ولم تُزْرِ به صَعْلَة، وسِيم قَسِيم، فى عينيه دَعَج، وفى أشفاره وَطَف، وفى صوته صَهَل، وفى عنقه سَطَع، أحْوَر، أكْحَل، أزَجّ، أقْرَن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البَهَاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فَصْل، لا نَزْر ولا هَذَر، كأن منطقه خَرَزَات نظمن يَتَحدَّرن، رَبْعَة، لا تقحمه عين من قِصَر، ولا تشنؤه من طول، غُصْن بين غُصْنَيْن، فهو أنْظَر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدْرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، مَحْفُود، مَحْشُود، لا عَابِس ولا مُفَنَّد[1].

وقال على بن أبى طالب - وهو ينعت رسول الله ﷺ: لم يكن بالطويل المُمَغَّط، ولا القصير المتردد، وكان رَبْعَة من القوم، ولم يكن بالجَعْد القَطِط، ولا بالسَّبْط، رَجِلًا، ولم يكن بالمُطَهَّم، ولا بالمُكَلْثَم، وكان فى الوجه تدوير، وكان أبيض مُشْرَبًا، أدْعَج العينين، أهْدَب الأشْفَار، جَلِيل المُشَاش والكَتَدِ، دقيق المسْرُبَة، أجْرَد، شَثْنُ الكفين والقدمين، إذا

(١) زاد المعاد ٢/ ٥٤. والوضاءة: الجمال، أبلج الوجه: مشرقه ومضيئة. الثجلة: كبر البطن أو كبر الرأس. لم تزر به: لم تعبه، والصعلة: صغر الرأس، والوسيم القسيم: الحسن الجميل، والدعج: شدة سواد الحدقة، وفى أشفاره وطف: فى شعر أجفانه طول، والصهل: بحة يسيرة، سطع: طول، أحور: شديد بياض العينين فى شدة سوادهما، أزج: متقوس الحاجبين، أقرن: ملتقى الحاجبين بين العينين، لانزر ولاهذر: لا قليل ولا كثير بل هو وسط الكلام، وربعة: أى بين الطويل والقصير. محفود: الذى يخدمه أصحابه ويسرعون إلى امتثال أمره، محشود: الذى يجتمع إليه الناس، ولا مفند: أى لا يفند أحدًا، أى لا يهجنه ولا يستقل عقله.

مشى تَقَلّع كأنما يمشى فى صَبَب، وإذا التفت التفت معًا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفًا، وأجرأ الناس صدرًا، وأصدق الناس لَهْجَة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عَريكَة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[١].

وفى رواية عنه: أنه كان ضَخْم الرأس، ضخم الكَرَادِيس، طويل المَسْرُبَة، إذا مشى تَكَفَّأ تَكَفُّيًا كأنما يَنْحَطُّ من صَبَب[٢].

وقال جابر بن سَمُرة: كان ضَلِيع الفم، أشْكَل العينين، مَنْهُوس العقبين[٣].

وقال أبو الطفيل: كان أبيض، مَلِيح الوجه، مُقَصَّدًا[٤].

وقال أنس بن مالك: كان بِسْطَ الكفين. وقال: كان أزْهَر اللون، ليس بأبيض أمْهَقَ، ولا آدَم، قُبض وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[٥].

وقال: إنما كان شىء - أى من الشيب - فى صُدْغَيْه، وفى رواية: وفى الرأس نَبْذٌ[٦].

وقال أبو جُحَيْفة: رأيت بياضًا تحت شفته السفلى، العَنْفَقَة[٧].

وقال عبد الله بن بُسْر: كان فى عنفقته شعرات بيض[٨].

وقال البراء: كان مَرْبُوعًا، بَعِيدَ ما بين المَنْكِبَيْن، له شَعْر يبلغ شَحْمَة أذنيه، رأيته فى

---

(١) ابن هشام ١/ ٤٠١، ٤٠٢، وجامع الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى ٤/ ٣٠٣ والمغط: المفرط فى الطول. الجعد القطط: شديد الجعودة، وهى التواء وانقباض فى الشعر، والسبط: مسترسل بالشعر، ورجلا: بين الجعودة والسُّبوطة، والمطهم: الممتلئ الجسم، والمكلثم: شديد تدوير الوجه، أهدب الأشفار: طويل شعر الأجفان، جليل المشاش: عظيم رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين، والكتد: الكاهل وما يليه من الجسد، والمسربة: خط الشعر من اللبة إلى السرة، أجرد: خال من الشعر، الشثن: الغليظ، تقلع فى مشيته: أى شديد المشى، الصبب: ما انحدر من الأرض.

(٢) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى ٤/ ٣٠٣، والكراديس جمع كردوس: رؤوس العظام، وقيل: ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٢٥٨. ضليع الفم: واسعه، أشكل العين: طويل شق العين، منهوس العقب: قليل لحم العقب.

(٤) المصدر السابق نفسه. والمقصد: الذى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم.

(٥) صحيح البخارى ١/ ٥٠٢، والأبيض الأمهق: كريه البياض كلون الجص.

(٦) المصدر السابق نفسه، وصحيح مسلم ٢/ ٢٥٩. والنبذ: يسير الشيب.

(٧) صحيح البخارى ١/ ٥٠١، ٥٠٢.

(٨) المصدر السابق ١/ ٥٠٢.

حُلَّة حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه[١].

وكان يُسْدِل شعره أولًا لحبه موافقة أهل الكتاب، ثم فَرَق رأسه بعد[٢].

قال البراء: كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خُلُقًا[٣].

وسئل: أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر. وفى رواية: كان وجهه مستديرًا[٤].

وقالت الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ: لو رأيته رأيت الشمس طالعة[٥].

وقال جابر بن سَمُرَة: رأيته فى ليلة إضْحِيَانٍ، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر - وعليه حلة حمراء - فإذا هو أحسن عندى من القمر[٦].

وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجرى فى وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع فى مشيه من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تُطْوَى له، وإنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث[٧].

وقال كعب بن مالك: كان إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر[٨].

وعرق مرة وهو عند عائشة رضى الله عنها يَخْصِفُ نعلًا، وهى تغزل غزلًا، فجعلت تبرق أسارير وجهه، فلما رأته بُهِتَتْ وقالت: والله لو رآك أبو كَبِير الهُذَلى لعلم أنك أحق بشعره من غيرك:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل[٩]

وكان أبو بكر إذا رآه يقول:

أمين مصطفى بالخير يدعو ... كضوء البدر زايله الظلام[١٠]

وكان عمر ينشد قول زهير فى هَرِم بن سِنَان:

---

(١) المصدرالسابق نفسه. (٢) صحيح البخارى ١/ ٥٠٣.

(٣، ٤) صحيح البخارى ١/ ٥٠٢، وصحيح مسلم ٢/ ٢٥٨.

(٥) رواه الدارمى، مشكاة المصابيح ٢/ ٥١٧.

(٦) رواه الترمذى فى الشمائل، ص ٢، والدارمى، مشكاة المصابيح ٢/ ٥١٨. وإضحيان: مضيئة مقمرة.

(٧) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى ٤/ ٣٠٦، ومشكاة المصابيح ٢/ ٥١٨.

(٨) صحيح البخارى ١/ ٥٠٢.

(٩) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٣٢٥.

(١٠) خلاصة السير، ص ٢٠.

لـو كنت مـن شـيء سـوى البشر كـنـت الـمـضـيء لليلة الـبـدر

ثم يقول: كذلك كان رسول الله ﷺ[١].

وكان إذا غضب احمر وجهه، حتى كأنما فقئ فى وجنتيه حَبُّ الرمان[٢].

وقال جابر بن سَمُرَة: كان فى ساقيه حُمُوشة، وكان لا يضحك إلا تَبَسُّمًا. وكنت إذا نظرت إليه قلت: أكْحَل العينين، وليس بأكحل[٣].

وقال عمر بن الخطاب: وكان من أحسن الناس ثَغْرًا[٤].

قال ابن عباس: كان أفْلَجَ الثنيتين، إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه[٥].

وأما عُنُقه فكأنه جِيدُ دُمْيَةٍ فى صفاء الفضة، وكان فى أَشْفَاره عَطَف، وفى لحيته كثافة، وكان واسع الجبين، أزَجّ الحواجب فى غير قرن بينهما، أقْنَى العِرْنِين، سَهْل الخَدَّيْن، من لُبَّتِه إلى سُرَّتِه شعر يجرى كالقضيب، ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره، أشْعَر الذراعين والمنكبين، سَوَاءُ البطن والصدر، مَسِيح الصدر عريضه، طويل الزَّنْد، رَحْب الراحة، سَبْط القَصَب، خُمْصَان الأخْمَصَيْن، سَائِل الأطراف، إذا زَالَ زَالَ قَلْعًا، يخطو تَكَفِّيًا ويمشى هَوْنًا[٦].

وقال أنس: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبى ﷺ، ولا شممت ريحًا قط أو عَرْفًا قط، وفى رواية: ما شممت عنبرًا قط ولا مِسْكًا ولا شيئًا أطيب من ريح أو عرف رسول الله ﷺ[٧].

---

(١) خلاصة السير، ص ٢٠.

(٢) مشكاة المصابيح ١/ ٢٢، ورواه الترمذى فى أبواب القدر: باب ما جاء فى التشديد فى الخوض فى القدر ٢/ ٣٥.

(٣) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى ٤/ ٣٠٦.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الطلاق، باب فى الإيلاء ٣/ ١١٠٧، ح (١٤٧٩).

(٥) رواه الدارمى، مشكاة المصابيح ٢/ ٥١٨.

(٦) خلاصة السير، ص ١٩، ٢٠ الدمية: الصورة المصورة، والعطف: الطول، وأقنى: طول ورقة، والعرنين: الأنف، وسهل الخدين: أى غير مرتفع الوجنتين، والزند: طرف الذراع فى الكف، والرحب: الواسع، وسبط القصب: ممتد الساعدين والساقين، وخمصان الأخمصين: الأخمص من القدم الذى لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، وخمصان: مبالغة، وسائل الأطراف: ممتدها، والقلع: رفع الرجل من الأرض عند المشى بقوة، والتكفى: التمايل إلى قُدّام.

(٧) صحيح البخارى ١/ ٥٠٣، وصحيح مسلم ٢/ ٢٥٧، والعَرف: الريح.

وقال أبو جُحَيْفة: أخذت بيده، فوضعتها على وجهى، فإذا هى أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك[١].

وقال جابر بن سمرة - وكان صبيا: مسح خَدِّى فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جُونَةِ عَطَّار[٢].

وقال أنس: كأن عرقه اللؤلؤ. وقالت أم سليم: هو من أطيب الطيب[٣].

وقال جابر: لم يسلك طريقًا فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عَرْفِه. أو قال: من ريح عرقه[٤].

وكان بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده، وكان عند نَاغِض كتفه اليسرى جُمْعًا، عليه خِيَلان كأمثال الثَّآلِيل[٥].

كمال النفس ومكارم الأخلاق:

كان النبى ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذى لا يجهل، سلامة طبع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتى جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهى الذى مدده الوحى.

وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفاتٌ أدبه الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هَفْوَة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلما، وقالت عائشة: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[٦]. وكان أبعد الناس غضبًا، وأسرعهم رضًا.

---

(١) صحيح البخارى ١/ ٥٠٢.

(٢، ٣) صحيح مسلم ٢/ ٢٥٦. وجُونة العطار: هى التى يعد فيها الطيب ويُحرز.

(٤) رواه الدارمى، مشكاة المصابيح ٢/ ٥١٧.

(٥) صحيح مسلم ٢ / ٢٥٩، ٢٦٠. الناغض: أعلى الكتف. وجمعا: أى مثل جُمْع الكف. وخيلان جمع خال: وهو الشامة فى الجسد. والثآليل جمع ثؤلول: خُرَّاج يكون بجسم الإنسان ناتئ صلب مستدير.

(٦) صحيح البخارى ١/ ٥٠٣.

وكان من صفة الجود والكرم على مالا يقادر قدره، كان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر، قال ابن عباس: كان النبى ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[١]. وقال جابر: ما سئل شيئًا قط فقال: لا[٢].

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذى لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فَرَّة، وحفظت عنه جولة سواه، قال على: كنا إذا حمى البأس واحمرت الحَدَقُ، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه[٣]. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبى طلحة عُرْيٍ، فى عنقه السيف، وهو يقول: «**لم تُرَاعوا، لم تُرَاعوا**»[٤].

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، قال أبو سعيد الخدرى: كان أشد حياء من العذراء فى خِدْرها، وإذا كره شيئًا عرف فى وجهه[٥]. وكان لا يثبت نظره فى وجه أحد، خافض الطرف. نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظة، لا يشافه أحدًا بما يكره حياء وكرم نفس، وكان لا يسمى رجلًا بلغ عنه شىء يكرهه، بل يقول. «**ما بال أقوام يصنعون كذا**».

وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويُتَحاكم إليه فى الجاهلية قبل الإسلام، روى الترمذى عن على أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم:] © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² Z [الأنعام][٦]. وسأل هرقل أبا سفيان، هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

(١، ٢) المصدر السابق ١/ ٥٠٢.

(٣) انظر: الشفاء للقاضى عياض ١/ ٨٩، ومثل ذلك روى أصحاب الصحاح والسنن.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٢٥٢، وصحيح البخارى ١/ ٤٠٧، و «لم تراعوا»: لم تفزعوا ولم تخافوا.

(٥) صحيح البخارى ١/ ٥٠٤. (٦) مشكاة المصابيح ٢ / ٥٢١.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس فى أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم فى بيته، وكان بشرًا من البشر يَفْلِي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه[١].

وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدبًا، وأبسط الناس خلقًا، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا صخابا فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحدا يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه فى مأكل ولا ملبس، ويخدم من خَدَمَه، ولم يقل لخادمه أف قط، ولم يعاتبه على فعل شىء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرًا لفقره. كان فى بعض أسفارة فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: علىّ ذبحها، وقال آخر: على سلخها، وقال آخر على طبخها، فقال ﷺ: «**وعلىّ جمع الحطب**»، فقالوا: نحن نكفيك. فقال: «**قد علمت أنكم تكفونى ولكنى أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه**»، وقام وجمع الحطب[٢].

ولنترك هند بن أبى هالة يصف لنا رسول الله ﷺ؛ قال هند فيما قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه - لا بأطراف فمه - ويتكلم بجوامع الكلم، فصلًا، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثًا ليس بالجافى ولا بالمهين، يعظم النعمة وإن دقت، لايذم شيئًا، ولم يكن يذم ذواقًا - ما يطعم - ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها - سماحة - وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

وكان يخزن لسانه إلا عما يعنيه، يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره.

يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما فى الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح

(١) مشكاة المصابيح ٢ / ٥٢٠.

(٢) خلاصة السير، ص٢٢.

ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى غيره.

الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن - لا يميز لنفسه مكانًا - إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده فى الحق متقاربين، يتفاضلون عنده بالتقوى، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم - لا تخشى فلتاته - يتعاطفون بالتقوى، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويؤنسون الغريب.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صَخَّاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يقنط منه. قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحدًا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا. لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق، يقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ[(١)].

وقال خارجة بن زيد: كان النبى ﷺ أوقر الناس فى مجلسه، لا يكاد يخرج شيئًا من أطرافه، وكان كثير السكوت، لا يتكلم فى غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير جميل، كان ضحكه تبسمًا، وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرًا له واقتداء به[(٢)].

وعلى الجملة، فقد كان النبى ﷺ محلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، أدبه ربه

(١) انظر: الشفا للقاضى عياض ١/ ١٢١-١٢٦، وانظر أيضا: شمائل الترمذى.
(٢) الشفا ١/ ١٠٧.

فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيًا عليه فقال:] وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ Z [القلم]، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائدًا تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا فى دين الله أفواجًا.

وهذه الخلال التى أتينا على ذكرها خطوط قصار من مظاهر كماله وعظيم صفاته، أما حقيقة ما كان عليه من الأمجاد والشمائل فأمر لا يدرك كنهه، ولا يسبر غوره، ومن يستطيع معرفة كنه أعظم بشر فى الوجود بلغ أعلى قمة من الكمال، استضاء بنور ربه، حتى صار خلقه القرآن؟

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد.

صفى الرحمن المباركفورى

الجامعة السلفية، بنارس، الهند

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

١- إتحاف الورى بأخبار أم القرى — لنجم الدين، أبى القاسم عمر بن محمد بن محمد الهاشمي المعروف بابن فهد المكى (ت ٨٨٥ هـ).

لأبى حاتم بن حبان البستي (٢٧٠- ٣٥٤ هـ).

٢- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان — ترتيب: الأمير علاء الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام — لشهاب الدين، أحمد بن محمد الأسدي المكى (ت ١٠٦٦ هـ)، المطبعة السلفية، بنارس، الهند.

٤- الأدب المفرد — للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦ هـ)، المطبوع مع فضل الله الصمد، السلفية، مصر.

٥- الاستيعاب — لأبى عمر، يوسف بن عبدالبر (٣٦٨-٤٦٣ هـ)، نهضة مصر.

٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة — لعز الدين بن الأثير، أبى الحسن على بن محمد الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ)، دار الفكر.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة — للحافظ ابن حجر، أحمد بن على بن محمد (٧٧٣- ٨٥٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- الأصنام — لأبي المنذر، هشام بن محمد الكلبى (ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق: أحمد زكى باشا، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٩- أنساب الأشراف — لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ)، دار المعارف.

١٠-البداية والنهاية — للحافظ ابن كثير، أبى الفداء إسماعيل بن عمر كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، مكتبة المعارف، بيروت.

١١- تاريخ أرض القرآن (أردو) للسيد سليمان الندوي (ت ١٣٧٣ هـ)، معارف بريس، أعظم كَرهـ، الهند، الطبعة الرابعة ١٩٥٥م.

١٢- تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر، محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤- ٣١٠ هـ)، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

١٣- تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت ٨٠٨ هـ)، دار الطباعة الخديوية، بولاق، مصر.

١٤- التاريخ الصغير للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤- ٢٥٦هـ)، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ)، دار التراث، القاهرة.

١٥ - تاريخ عمر بن الخطاب لأبى الفرج، عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، مطبعة التوفيق الأدبية، مصر.

١٦ تاريخ اليعقوبي لليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩ هـ.

١٧- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذى لأبى العلى، عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، جيد برقى بريس، دلهى، الهند ١٣٤٦- ١٣٥٣ هـ.

١٨- تفسير الطبري (جامع البيان) لأبى جعفر، محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤- ٣١٠ هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٩- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبى عبد الله، محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، دار الكتب المصرية.

٢٠- تفسير ابن كثير لأبى الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، مكتبة دار السلام، الرياض.

٢١- تلقيح فهوم أهل الأثر لأبى الفرج، عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، جيد برقى بريس، دلهى، الهند.

٢٢- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، على بن حسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ)، تهذيب: الشيخ عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ)، دار المسيرة، بيروت.

٢٣- جامع الترمذى: لأبى عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩ هـ)، المكتبة الرشيدية، دلهي، الهند. وبتحقيق أحمد محمد شاكر وغيره.

٢٤- جمهرة أنساب العرب: لابن حزم، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٣٨٤- ٤٥٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٥- جمهرة النسب: لأبى المنذر، هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٦- خلاصة السير: لمحب الدين، أبى جعفر أحمد بن عبد الله الطبرى (ت ٦٧٤ هـ)، دلى برنتَنَكَ بريس، دلهى، الهند.

٢٧- دراسات في تاريخ العرب: (الجزء الأول: تاريخ العرب قبل الإسلام): للدكتور السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

٢٨- الدر المنثور: لجلال الدين، عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

٢٩- دلائل النبوة: لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمى الأصبهانى (٤٥٧-٥٣٥ هـ)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.

٣٠- دلائل النبوة: لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (٣٣٦- ٤٣٠ هـ)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية.

٣١- دلائل النبوة: لأبى بكر، أحمد بن حسين البيهقي (٣٨٤- ٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٢- رحمة للعالمين: للقاضي محمد سليمان سلمان المنصورفورى (ت ١٩٣٠م)، الطبعة الأردية: حنيف بكديو دلهي، الهند، الطبعة العربية: الدار السلفية، بومبائى، الهند.

٣٣- رسول أكرم كَى سياسي زندكي (أردو): للدكتور محمد حميد الله، (باريس) سالم كمينى ديوبند، الهند ١٩٦٣م.

٣٤- الروض الأنف: لأبى القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (٥٠٨- ٥٨١ هـ)، دار الفكر.

٣٥- زاد المعاد: لابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب (٦٩١، ٧٥١ هـ)، المطبعة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ.

٣٦- سبائك الذهب: لمحمد أمين بن على بن محمد سعيد السويدي البغدادي (ت ١٣٤٦ هـ)، الطبعة الأولى.

٣٧- سفر التكوين: (أحد أسفار العهد العتيق عند أهل الكتاب).

٣٨- سنن أبى داود: لأبى داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢- ٢٧٥ هـ)، المطبع المجيدى، كانفور، الهند، والمكتبة الرحيمية ديوبند، الهند.

٣٩- السنن الكبرى: لأبى بكر، أحمد بن حسين بن على البيهقي (٣٨٤- ٤٥٨هـ).

٤٠- سنن ابن ماجه: لأبى عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني(٢٠٩- ٢٧٣ هـ).

٤١- السنن المجتبى للنسائى: لأبى عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائى (٢١٥- ٣٠٣ هـ)، المكتبة السلفية، لاهور، باكستان.

٤٢- السيرة الحلبية: لعلى بن برهان الدين الحلبي الشافعي (٩٧٥- ١٠٤٤ هـ)، طبعة بيروت.

٤٣- السيرة النبوية: لأبى حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التيمى البستي (ت ٣٥٤هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٤- السيرة النبوية: لأبى محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (المتوفى ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)، مصطفى البابي الحلبى، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ.

٤٥- شرح السنة: للإمام الحسين بن مسمعود الفراء البغوى (٤٣٦- ٥١٦ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٦- شرح صحيح مسلم: لأبى زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) المكتبة الرشيدية، دلهى، الهند ١٣٧٦ هـ.

٤٧- شرح المواهب اللدنية: لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري (ت ١١٢٢ هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٤٨- الشفا: للقاضى أبى الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتي (٤٤٦- ٥٤٤ هـ)، المطبعة العثمانية، إستانبول ١٣١٢ هـ.

٤٩- شمائل الترمذى: لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩- ٢٧٩ هـ)، المكتبة الرشيدية، دلهي، الهند.

٥٠- صحيح البخارى: للإمام أبى عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، المكتبة الرحيمية، ديوبند، الهند، وبترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ضمن فتح الباري.

٥١- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، (ت ٢٠٦- ٢٦١ هـ)، المكتبة الرشيدية، دلهى، الهند، وبترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٢- صحيفة حبقوق: (أحد أسفار العهد العتيق عند أهل الكتاب).

٥٣- الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد (١٦٨- ٢٣٠)، دار صادر، بيروت.

٥٤- العقد الفريد: لأبى عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٢٤٦- ٣٢٨ هـ)، لجنة التأليف ١٣٦٣ هـ.

٥٥- عون المعبود شرح سنن أبى داود: لأبي الطيب، شمس الحق العظيم آبادي (١٢٧٤- ١٣٢٩ هـ)، الطبعة الأولى الهندية.

٥٦- فتح البارى: للحافظ ابن حجر، أحمد بن على بن محمد العسقلانى (٧٧٣- ٨٥٢ هـ) المطبعة السلفية، الروضة، مصر، الطبعة الأولى والثانية.

٥٧- فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية.

٥٨- قلائد الجمان لأبى العباس، أحمد بن على القلقشندي (ت ٨٢١ هـ)، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى.

٥٩- قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة، المطبعة السلفية، الروضة، مصر، ١٣٥٢ هـ.

٦٠- الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير، أبو الحسن على بن محمد الجزري الشيباني (٥٥٥- ٦٣٠ هـ).

٦١- كنز العمال لعلاء الدين، على المتقى بن حسام الدين البرهان فورى، الهندي (ت ٩٧٥ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة.

٦٢- اللسان لابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري (٦٣٠- ٧١١ هـ)، دار المعارف، القاهرة.

٦٣- مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبى بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

٦٤- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية لمحمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالخضرى بك (١٢٨٩- ١٣٤٥ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الثامنة ١٣٨٢ هـ.

٦٥- مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي (ت ١٢٤٢ هـ)، المكتبة السلفية، الروضة، مصر، ١٣٧٩ هـ.

٦٦- مدارك التنزيل لحافظ الدين، عبد الله بن أحمد النسفى (ت ٧٠١ هـ).

٦٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن، على بن حسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦٨- المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه المعروف بالحاكم النيسابوري (٣٢١- ٤٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦٩- مسند الإمام أحمد
للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤- ٢٤١ هـ)، دار الفكر العربي، وبتحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة.

٧٠- مسند البزار
لأبى بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢ هـ).

٧١- مسند خليفة بن خياط
خليفة بن خياط، المعروف بشباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ)،
تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ).

٧٢- مسند الدارمى
للإمام أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (١٨١- ٢٥٥ هـ)، دار إحياء السنة النبوية.

٧٣- مسند أبى داود الطيالسى
لأبى داود، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصرى المعروف بالطيالسى (٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٧٤- مسند أبى يعلى
لأبى يعلى، أحمد بن على بن المثنى التميمي (ت ٢١٠- ٣٠٧ هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى.

٧٥- مشكاة المصابيح
لولى الدين، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (المتوفى في القرن الثامن الهجرى)، المكتبة الرحيمية، ديوبند، الهند.

٧٦- المصنف لابن أبى شيبة
لأبى بكر، عبد الله بن محمد بن أبى شيبة العبسى (ت ٢٣٥ هـ)، الدار السلفية، بومبائى، الهند، الطبعة الأولى.

٧٧- المصنف لعبد الرزاق
لأبى بكر، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦- ٢١١ هـ)، المجلس العلمي، جوهانسبرغ، كراتشى، دابهيل، الطبعة الثانية.

٧٨- المعارف
لابن قتيبة الدينوري، أبى محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣- ٢٧٦ هـ)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٧٩- المعجم الأوسط للحافظ أبى القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠ هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

٨٠- المعجم الصغير أيضا للطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٣ هـ.

٨١- معجم البلدان لياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت.

٨٢- مغازي الواقدي لمحمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت.

٨٣- المنمق في أخبار قريش محمد حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى.

٨٤- المواهب اللدنية لشهاب الدين، أبى العباس أحمد بن محمد القسطلانى المصرى (ت ٩٢٣ هـ).

٨٥- موطأ الإمام مالك للإمام مالك بن أنس الأصبحى (ت ٩٣- ١٦٩ هـ)، المكتبة الرحيمية، ديوبند، الهند.

٨٦- نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام لمحمود باشا الفلكي، تعريب: أحمد زكى أفندى، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٨٧- نسب قريش لأبي عبد الله، المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى (١٥٦- ٢٣٦ هـ)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

٨٨- نسب معد واليمن الكبير لأبى المنذر، هشام بن محمد الكلبى (٢٠٤ هـ)، مكتبة النهضة العربية.

٨٩- نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب لأبى العباس، أحمد بن على القلقشندى (ت ٨٢١ هـ)، تحقيق إبراهيم الأبيارى، مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٩ هـ.

٩٠- وفاء الوفاء لنور الدين، على بن أحمد المصرى السمهودي (٨٤٤-٩١١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩١- اليمن عبر التاريخ لأحمد حسين شرف الدين، مطابع البادية، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.

تفويض

صفي الرحمن المباركفوري
ص ب : ١٠٠٣٣ ، المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

الرقم .....
الموضوع .....
التاريخ ٢/٢/١٤٢٠هـ

الموافق ١٨/٥/١٩٩٩م

فوضنا نحن الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري (مؤلف كتاب الرحيق المختوم) وصاحب الحق المادي والأدبي الوحيد في مادته العلمية .

السادة/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – بالمنصورة بجمهورية مصر العربية في الحفاظ على حقوق المؤلف والقيام بمتابعة الطبعات غير الشرعية للكتاب قضائياً بموجب هذا التفويض ، واتخاذ الإجراءات القانونية حيال ذلك ، ولهم الحق في تحصيل كافة الحقوق المادية المتعلقة بهذا الأمر .

وهذا تفويض منا بذلك ،،،

المفوض/ الشيخ صفي الرحمن المباركفوري

التوقيع/